المحاضرة الثالثة عشر : ديمقراطية الإعلام والاتصال والعولمة الإعلامية

مقدمة:

إن العولمة الإعلامية في مفهومها هي إنتاج وتوزيع واستهلاك المنتجات والمواد الإعلامية على نطاق عالمي، الأمر الذي يسهل عملية تبادل الثقافات بين الشعوب على اختلافهم ، عن طريق تنوع مصادر المعلومات وتعدد وسائل الإعلام وتكاملها وتتمحور العولمة الإعلامية حول توجه معظم أنظمة الإعلام الوطنية نحو اتجاهات عالمية، حيث ساعدت على الانفتاح أكثر على السياسات الخارجية ، سواء في محتواها، أو في ملكيتها، كما تُعد العولمة الإعلامية ظاهرة ثقافية عالمية، وتؤثر العوامل الاقتصادية والسياسية على توجيه العولمة.

1.1 **ديمقراطية الإعلام والاتصال** : نتطرق في النقاط التالية إلى أهم ركائز مفهوم ديمقراطية الإعلام حيث:

- أن الديمقراطية تقوم على وجود مؤسسات إعلامية تتولى مهمة نشر المعلومات والآراء والأفكار، وخلق نقاشات في وسط المجتمع تنتهي باتخاذ قرارات مدروسة وتخدم الصالح العام.
- إن وسائل الإعلام هي الفضاء الأمثل للتعبير عن الأفكار والتوجهات والآراء وإيصالها لأكبر عدد ممكن من الأفراد، بغرض مساعدتهم على فهم ما يحيطبهم.
- كما أن وسائل الإعلام تستطيع بأن تقوم بأدوار رقابية مهمة على مؤسسات الدولة التي تتولى إرساء العدالة من جهة، والعمل على تكريسها من جهة أخرى من خلال فتح نفس الفضاءات والإمكانيات للأفراد للتعبير والنقد إذا ما اتسمت بالموضوعية بطبيعة الحال.
- ونظرا أيضا لأهمية الإعلام وانعكاسه التي تشمل مختلف الجوانب في المجتمعات وكذا اقتناع مختلف الأطراف بمكانته في مسار السياسي لأي مجتمع، يعد الإعلام مقياسا أساسيا وهاما إن لم نقل حاسما في معرفة مدى تطور الديمقراطية في أي بلد كان. وتراهن الدول الراغبة في تحقيق الديمقراطية عليه (الإعلام) في نجاحها وتحقيق غاياتها .[1]

- فوسائل الإعلام هي انعكاس للبيئة السياسية أي مرآة عاكسة للأحداث والصراعات والتفاعلات المحلية والإقليمية والدولية على الصعيد السياسي (فالبيئة السياسية تبنى من قبل وسائل الإعلام)، لذلك تعد قوة تستطيع أن تؤثر في المسار الديمقراطي، من خلال محاولات الإقناع المتتالية من أجل التحول وتغيير الاتجاهات البارزة التي تسعى وسائل الإعلام لتحقيقها وتعمل جاهدة للوصول إليها، مما سبق يتضح أن قدرة وسائل الإعلام على مخاطبة القادة والمسؤولين وصناع القرار يجعل هذه الأخيرة تؤثر في أي تحول محتمل على مستوى دواليب السلطة[2].

---

[1] نصرالدين بوزيان: **الإعلام والديمقراطية في الجزائر: الواقع والأفاق**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، العدد 4، 2010، ص 250-251.

[2] زكرياء بن صغير: **دور الإعلام في التحول الديمقراطي نحو مقاربة لفهم إشكالية بناء الدولة**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 12، المجلد 03، 2020، ص 410.

1.1 مظاهر ديمقراطية الاعلام والاتصال:

ويرى Jennings and Thompson أن الإعلام الحر يقوم بثماني وظائف أساسية لدعم عملية التطور الديمقراطي والإصلاح السياسي، وتشمل هذه الوظائف الآتي:

- **الوفاء بحق الجماهير في المعرفة** : من خلال نقل الأنباء من مصادر متعددة، وشرحها وتفسيرها، ونقل الآراء المختلفة حول القضايا الداخلية والخارجية.
- **الإسهام في تحقيق ديمقراطية الاتصال** : من خلال تحولها لساحة للتعبير الحر عن كافة الآراء والاتجاهات وإتاحة الفرصة للجماهير لإبداء آرائها في المشروعات الفكرية والسياسية المطروحة، وفي التعبير عن مشاكلها.
- **الإسهام في تحقيق المشاركة السياسية** : من خلال إتاحة المعلومات الكافية التي تؤهل المواطنين للمشاركة واتخاذ قراراتها بالانتماء للأحزاب السياسية، أو التوجهات الفكرية، أو التصويت بما يدعم النشاط السياسي العام.
- **إدارة النقاش الحر في المجتمع** : بين جميع القوى والتوجهات والأفكار للوصول إلى أفضل الحلول.
- **الرقابة على مؤسسات المجتمع** : وحمايته من الانحراف والفساد، عن طريق الكشف عن انحرافات السلطة، وفساد مسؤوليها، وإساءة استخدام السلطة لتحقيق المنافع الشخصية.
- **المساعدة في صنع القرارات** : فلوسائل الإعلام تأثير كبير على القرارات السياسية، ويرجع ذلك لأنها تؤثر على القرارات السياسية فقد تعطي الشعبية أو تحجبها عن صانع القرار، كما أن صانع القرار ينظر إليها كمقياس لرد فعل الناس تجاه سياسته وقراراته، فوسائل الاتصال في الأنظمة الديمقراطية تكون حرة في نقل المعلومات والتفاعل مع القضايا والأحداث وبالتالي تكون قدرتها على صنع القرار قوية، بينما في النظم السلطوية حيث تُنقل المعلومات من أعلى إلى أسفل، يضعف الدور الذي قد تمارسه هذه الوسائل.
- **التأثير في اتجاهات الرأي العام** :حيث أصبحت وسائل الاتصال في المجتمعات الحديثة تقرر بشكل كبير ما الذي يشكّل الرأي العام، وتزوده بغالبية المعلومات التي من خلالها يطلع على الشؤون العامة ومعرفة الشخصيات السياسية بجانب دورها في المناقشات العامة والعملية الانتخابية ككل، فعن طريقها يتم بناء الحقيقة السياسية نظرًا لأن الجمهور لا يملك التحكم فيما يُقدَّم له، وإنما هو في العادة يستجيب ويتفاعل مع مضامين الوسائل الإعلامية، فعن طريق مضمون هذه الوسائل يمكن التعرف على توجهات الرأي العام ورؤيته حول مختلف القضايا مما يرشد السلطة السياسية ويسهم في إنجاح سياساتها ويقلّل من فرص تعرضها للخطر والانتقاد من قبل الرأي العام؛ فالحكومات لا تستطيع أن تصل إلى الجماهير إلا من خلال هذه الوسائل التي لها قوة كبرى في التأثير على الرأي العام، كما أن ثقة الجمهور في وسائل الإعلام تفوق عادة ثقته في الحكومات.

- **مراقبة الأحداث المعاصرة** : وهي الأحداث التي من المحتمل أن تؤثر بالإيجاب أو السلب على رفاهية المواطنين، بحيث يكون المجتمع على اطلاع ومعرفة بما يجري وقادرًا على التكيف مع الظروف والمستجدات. [3]
-

1. العولمة الإعلامية:

إذا أردنا تحديد مفهوم واضح لعولمة الإعلام والاتصال، يمكننا أن نعتمد تعريف الدكتور مُحَمَّد شومان حيث يقول بأنها :"عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة، والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات العملاقة المتعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى.[4]

1.2 سمات العولمة الإعلامية:

تتميز العولمة الإعلامية بوجود جملة من السمات العامة يمكن أن نوردها في الآتي:

- التطورات التكنولوجية الراهنة والمؤهلة لتطورات مستقبلية جديدة ومستمرة تدفع إلى المزيد من الانتشار المؤثر في المجتمعات المتخلفة تشكل جزءً من البنية السياسية الدولية الجديدة التي تطرح مفاهيم جديدة لسيادة الدولة على أرضها وشواطئها وفضائها الخارجي بما يعرف بالنظام السياسي العالمي الجديد.
- يشكل جزءً من البنية الاقتصادية و العالمية التي تفرض على الكل أن يعمل ضمن شروط السوق السائدة من صراعات ومنافسات وتكتلات وسعى متصل لتحقيق الربح للمؤسسات التي تحتكرها بحكم انتمائها إلى أكثر من وطن وعملها في أكثر من مجال بما في ذلك صناعة وتجارة السلاح
- يشكل جزءً من البنية الثقافية للمجتمعات التي تنتجها وتوجهها وتتواجه بها ولهذا فأنه يسعى إلى نشر وشيوع ثقافة عالمية تعرف عند مؤديها بالانفتاح الثقافي وعند معارضيها بالغزو الثقافي

يشكل جزءً من البنية الاتصالية الدولية التي مكنتها من تحقيق عولمتها وعولمة رسائلها ووسائلها فهو يتنمى إلى أحد الحقول التكنولوجية الأكثر تطورا في الوقت الراهن

- لا يشكل نظاما دوليا متوازيا لأن أغلب مضامينه ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيها تأتى من شمال الكرة الأرضية وهذا مما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليها في مقابل تبعية الدول النامية لها. [5]

---

[3] Jennings Bryant, Susan Thompson " Fundamentals of Media Effects " (New York: McGraw Hill, (2002) pp. 307- 309

[4] رحيمة عيساني: **الآثار الاجتماعية والثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية الشباب الجامعي بالجزائر أنموذجا**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2006 ،ص119-120.

[5] هالة بن علي برناط: **الإعلام والعولمة**، كلية الآداب، قسم الإعلام،جامعة الملك سعود، ص 5-6.

2.2 وظائف العولمة الإعلامية:

ذكرت الدكتورة عواطف عبد الرحمن في مؤلفها الموسوم بـ " **الإعلام العربي وقضايا العولمة** " إلى أهم وظائف الإعلام العولمة نلخصها في النقاط الآتية:

- في ظل صعود الإعلام السمعي البصري أصبح هو المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي حلت مكان الأسرة والمدرسة والتي تقوم بدور أساسي في تلقين النشء والأجيال الجديدة المنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها التاريخي للقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية ومن خلال هذه الوظيفة يمارس الإعلام أخطر أدواره الاجتماعية التي تتمثل في إحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع متطلبات العولمة وشروطها.
- تقوم وسائل الإعلام باختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب من خلال المسلسلات والأفلام وقد نجحت أمريكا في اختراق الأنظمة الثقافية لدول الجنوب وقدمت لشعوبها النموذج الأمريكي كغاية مثلى.
- تقوم وسائل الإعلام باستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكر العولمة وأيديولوجيتها عبر الحوارات التلفزيونية والمقالات والمؤتمرات محاولة منها تهميش الثقافات والسياسات الأخرى ويتم أيضا تكثيف الجهود لمساندة السياسات الاقتصادية الثلاثة الذي يقوم بإدارة اقتصاد العالم " البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية.
- تشير الدراسات إلى استفادة العولمة من استمرار النظام الإعلامي العالمي الراهن الذي يتسم بالخلل وأوجه التفاوت الخطيرة سواء على المستويات المحلية والعالمية والتي تتمثل في الانسياب غير المتوازن للمعلومات مع رسوخ الاتجاه الرأسي الأحادي الجانب من الشمال إلى الجنوب من المراكز إلى الأطراف ومن الحكومات إلى الأفراد ومن الثقافة المسيطرة إلى الثقافة التابعة والدول الغنية تكنولوجيا في الشمال إلى الدول الأفقر في الجنوب
- تشير الدراسات إلى تزايد أهمية الأدوار التي تقوم بها الشركات المتعددة الجنسيات في الأنشطة الإعلامية والثقافية ويتجلى ذلك في توظيف وسائل الإعلام الدولية والمحلية كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج القيم الاجتماعية والثقافية الغربية ونشرها في دول الجنوب مما يتسبب في إحداث بلبلة واضطراب شديد في منظومة القيم المميزة لثقافات الشعوب.
- يقوم الإعلام بدور أساسي في ترويج السلع والخدمات التي تقدمها السوق العالمية من خلال الإعلانات التي تتضمن محتوياتها قيما وأنماطا للسلوك الاستهلاكي تستهدف الدعاية للسلع الأجنبية مما يلحق الضرر بالاقتصاديات المحلية.[6]

---

[6] عواطف عبد الرحمن. **الإعلام العربي وقضايا العولمة**، دار العربي للطباعة والنشر، الأردن، 2003.